البِنيةُ الصَّوتيَّةُ في سُورةِ الغَاشِية
دِرَاسة دَلاليَّة

م. د. مِيعَاد يُوسُف نصر الله
كليّة التَّربية– الجامعة المستنصريّة
م. د. ميرفت يُوسُف كاظم
كليّة التَّربية للبنات – جامعة بغداد

ملخص البحث

كان بحثُنا هذا؛ لكشفِ جوانبِ التَّناسُبِ بينَ البِنيةِ الصَّوْتيَّة في القُرآن الكريم والمعاني. واخترْنا سُورةَ الغاشيةِ المباركة، لتكونَ مجالاً للتَّطبيق، مقسِّمينَ دراستَنا إيّاها على مبحثين، افتُتحا بتمهيدٍ موجزٍ عرَّفنا فيه بسُورة الغاشية، ثُمَّ كانَ **المَبْحَثُ الأوَّل** (دلالة الأصوات اللُّغويَّة من حيث المخرجُ والصّفةُ)، ربطنا فيه مخارجَ الأصواتِ وصفاتِها من حيثُ الجهرُ والهمسُ والرِّخاوةُ والشِّدَّةُ والاستعلاءُ والانخفاضُ، وما إلى ذلك بدَلالة الألفاظ وإيحاءاتِها في سياقِها.

أمَّا **المَبْحَثُ الآخر** فتناول (إيقاع الأداء التَّجويديّ ودلالته)، إذ رصَدْنا فيه بعضَ الأحكامِ التَّجويديَّةِ في سُورة الغاشيةِ كأحكامِ النون السَّاكنة والتَّنوين، وأحكام المدّ، مبيِّنينَ ما ينشأ عن التزامِ تلك القواعدِ من أثرٍ صوتيٍّ يُشعرُ بالمعنى.

Abstract

Was discussed this; to reveal aspects of proportionality between the acoustic structure in the Holy Quran and meanings.We opted blessed Gash, to be room for the application, Divided our study them to two sections, Opened boot Summary knew which Surat Gash, then was the first topic (Sign language sounds in terms of output and capacity),We connect the sounds and exits characteristics in terms of speaking out and whisper, laxity and intensity and arrogance and decline, and so in terms of words in context.

The other topic handled (rhythm performance Altjoada and significant), as spotted by some provisions Altjoadah in rulings Noon Gash static and special characters, and the provisions of the tide,Revealing what arises from the commitment of those rules of the impact of my voice feels sense.

المقدِّمة

الحمدُ لله الَّذِي أمرَ بترتيلِ القُرآن، فقال –تعالى–: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾(سُورة المُزمّل4)، والصَّلاة والسَّلام على خيرِ الأنامِ محمَّدٍ المُختار، وآلِهِ الأطهار، وأصحابِهِ المنتجَبينَ الأخيار. أمَّا بعدُ ...

فإنَّ البناءَ الصَّوْتيَّ جزءٌ مهمٌّ في البناءِ اللُّغويِّ يُسهمُ في إضاءةِ المعنى، وتعميقِهِ في النَّفسِ. من هنا اتّجهَ البحثُ اللُّغويُّ في تحليلِ النُّصوصِ اللُّغويَّةِ إلى استنباطِ معانيها ودلالاتِها بالوقوف على بِنيتِها الصَّوْتيَّةِ، وهو اتّجاهٌ قديمٌ في تراثِنا اللُّغويِّ الَّذِي ضمَّ الكثيرَ من الإشاراتِ الَّتِي أضاءتِ البحثَ الصَّوْتيَّ في هذا الجانبِ.

وإذا كانتْ لغةُ العربِ غنيةً بقيمها الصَّوْتيَّةِ، والإيقاعِ الموسيقيِّ المتساوقِ مع المعنى فإنَّ النَّصَّ القُرآنيَّ –الذي نزلَ بتلك اللُّغةِ– بلغَ حدَّ الإعجازِ في كلِّ ذلك، إذ انصبّتْ عنايتُهُ ((بالاهتمام في إذكاءِ حرارةِ الكلمةِ عندَ العربِ، وتوهّجِ العبارة في منظار حياتهم، وحَدِبَ البيانُ القُرآنيّ على تحقيقِ موسيقى اللَّفظ في جملِه، وتناغمِ الحروفِ في تركيبه... فاختارَ لكلِّ حالةٍ مُرادةٍ ألفاظَها الخاصَّة الَّتِي لا يمكنُ أنْ تُستبدلَ بغيرها، فجاء كلُّ لفظ متناسبًا مع صورته الذّهنيَّة من وجهٍ، ومع دَلالتِه السَّمعيَّة من وجهٍ آخرَ))[1].

وكان بحثُنا هذا؛ لكشفِ جوانب التَّناسُبِ بينَ البِنيةِ الصَّوْتيَّة في القُرآن الكريم والمعاني. واخترْنا سُورةَ الغاشيةِ المباركة، لتكونَ مجالاً للتَّطبيق، مقسِّمينَ دراستَنا إيّاها على مبحثين، افتُتحا بتمهيدٍ موجزٍ عرَّفنا فيه بسُورة الغاشية، ثُمَّ كانَ **المَبْحَثُ الأوَّل** (دلالة الأصوات اللُّغويَّة من حيثُ المخرجُ والصّفةُ)، ربطنا فيه مخارجَ الأصواتِ وصفاتِها من حيثُ الجهرُ والهمسُ والرَّخاوةُ والشِّدَّةُ والاستعلاءُ والتكرير، وما إلى ذلك بدَلالة الألفاظ وإيحاءاتِها في سياقِها.

أمَّا **المَبْحَثُ الآخر** فتناول (إيقاع الأداء التَّجويديّ ودلالته)، إذ رصَدْنا فيه بعضَ الأحكامِ التَّجويديَّةِ في سُورة الغاشيةِ كأحكامِ النون السَّاكنة والتَّنوين، وأحكام المدّ، مبيِّنينَ ما ينشأ عن التزامِ تلك القواعدِ من أثرٍ صوتيٍّ يُشعرُ بالمعنى.

وأخيرًا، نسألُ اللهَ –تَعَالى– أنْ يجعلَ هذا العملَ خالصًا لوجهِه الكريمِ. وآخرُ دعوانَا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ .

التَّمْهيدُ

التَّعريف بسُورة الغاشية[2]

1. سُمِّيت في المصاحف والتَّفاسير(سُورة الغاشية)؛ لوقوع لفظ (الغاشية) في أولها. ومن تسمياتها سُورة: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**﴾، وربّما سُمِّيت (**سُورة هَلْ أَتَاكَ**) بدون كلمة حديث الغاشية.

2.السُّورة مكيَّة في قولِ الجميع، وآياتُها ستٌّ وعشرون بالإجماع، وهي الآية السَّابعة والسّتون في ترتيب نزول السُّور، نزلت بعد سُورة الذَّاريات، وقبل سُورة الكهف.

3.غرض السُّورة، هو:

- التَّرهيب من عقابِ يوم القيامة، والتَّرغيب بثوابه.
- الإنكار على قوم لم يهتدوا على الرُّغم من آيات الله –تَعَالى– المبثوثة في خلائقه، وهي نُصْبُ أعْينِ الجميعِ في هذا الوجود العريض المكشوف للنَّظر.
- تثبيت النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) على الدّعوة إلى الإسلام وأنْ لا يعبأ بإعراض المُعرِضينَ.
- سيطرة الله –تعالى– وحتميَّة الرُّجُوع إليه في نهاية المطاف.

4.أمَّا فضلُ السُّورة، فعن أُبي بن كعب عن النَّبيّ –صلَّى الله عليه وآله وسلَّم–: (من قرأها حاسبَه الله حسابًا يسيرًا). وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله –عليه السَّلام– قال: ((من أدمن قراءة (**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**) في فرائضه، أو نوافله، غشاه الله برحمته في الدّنيا والآخرة، وأعطاه الأمن يوم القيامة من عذاب النار)).

المبحثُ الأوَّلُ

دلالةُ الأصوات من حيثُ المخرجُ والصِّفةُ

إنَّ البحثَ عن الوظيفة الدَّلاليَّة للأصوات الَّتي تُشكّل بنية الكلمة بحثٌ ليس بجديدٌ، إذ عُني الموروث اللُّغويّ بصِفاتِ الحروفِ ومَخْارجها، وكشفَ أسرار البناء الصَّوْتيّ ودقائق معانيه. ولعلّ ابن جنّي من أشهر العلماء في اتّجاه ربط جَرْس الصّوت بالدّلالة، من ذلك موازنته بين (خضم) و(قضم)، قائلاً: ((فالخضمُ لأكل الرَّطْب كالبِطّيخ والقِثّاء، وما كان نحوهما من المأكول الرّطب، والقَضْمُ للصُّلب اليابس، نحو: قِضمتِ الدَّابة شعيرها))[3]، ومنه قوله في الفعل (بحثَ): ((فالباء لغلظها تُشْبه بصوتها خَفقة الكف على الأرض، والحاء لصَحلها تُشْبه مخالب الأسد وبراثِن الذّئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثَّاء للنفث والبثّ للتّراب))[4]؛ لذا اتَّجهَ بعضُ الباحثينَ حديثًا إلى رفعِ جودةِ النُّصُوصِ بما تتركه من أثرٍ جماليٍّ صوتيٍّ، واكتشاف العَلاقة بينَ أغراضِ النُّصُوص، ونسبةِ شيوعِ أصواتٍ معيَّنة فيها. ومن ثَمَّ أصبحتِ الدَّلالةُ تتشكّل على محورِ الاستماع، بوصف الأذن المتلقيّ الأوّل للنَّص[5].

وفي هذا المَبْحثِ نحاولُ تأمُّلَ تلكَ العَلاقة بين المعنى والصَّوْت اللُّغويّ من حيثُ المخرجُ والصّفة في سُورة الغاشية المقسَّمة على ستة مشاهد، والمتكوّنة من ثلاثمائة وواحد وثمانين صوتًا. **والجدول الآتي يوضّحُ بعضَ صفات هذه الأصوات، وعدد تواترها في السُّورة المباركة.**

	الجهر	الهمس	الشدّة	الرّخاوة	التوسّط	الاستعلاء	المدّ	التّكرار	الصَّفير
العدد	286	95	65	74	125	25	52	17	16
النّسبة المئويّة	(%75.06)	(%24.93)	(%17.56)	(%19.42)	(%32.80)	(%6.56)	(%13.64)	(%4.46)	(%4.19)

المشهدُ الأوَّل: وتمثّل في الآية الأولى في قوله –تعالى–: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، الَّذي بدأ بصوت الهاء في أداة الاستفهام (هل)، وانتهى بصوت التَّاء الَّذي يُنطق هاءً –أيضًا– عند الوقف، وهو صوت يُوحي بالألم والاضطراب والاهتزاز والسّحق والقطع والكسر والتَّخريب، ويؤيّد هذا كثرة الألفاظ التي تشتمل على صوت الهاء في (المعجم الوسيط) الدَّالّة على الاهتزاز والتَّخريب بما يتوافق مع الهاء المشدّدة الَّتي يقعُ مخرجُها في أوّل الحلق، إذ بلغت نسبتُها (31%)[6]. وتتساوقُ هذهِ الإيحاءات الصَّوْتيَّة للهاء مع جوّ الآية المشحون بالخوف والتَّعجُّب من هذا الخبر العظيم الَّذي تهتزُّ له النُّفوس خبر الغاشية، وهي ((الدَّاهية الَّتي تغشى النَّاسَ بشدائدها يومَ القيامة))[7]. ويبدو في نطق صوت الثَّاء في كلمة (حديث)، وهو صوت أسنانيّ ينتج بملامسة طرف اللسان في أثناء نطقه بالأسنان العليا بصورة تسمح بمرور الهواء وانتشاره[8]، وفي الصَّوْت المتفشي الشّين –الذي هو ريح زائدة تنتشر في الفم عند النطق بها[9]– في كلمة (الغاشية) ما يعزّز دلالة رفع الصَّوْت في حديث الغاشية ((الَّتي حقُّها أنْ تتناقلَها الرواةُ، ويتنافسَ في تلقينها الوعاةُ))[10].

وإذا كان في صوتي التَّاء والشّين إيحاء بانتشار خبر الغاشية، فإنَّ في صوت الغين، وهو مجهور احتكاكيٌّ من أصوات أدنى الحلق إلى الفم[11]. ما يوحي ببُعْدِ المدارك عن حديث الغاشية، إذ لا يتصوّر حقيقتَه إدراكٌ، فضلاً عن الإيحاء بالرَّهبة والفزع من هذا اليوم العظيم، يقول حسن عبَّاس عن إيحاء صوت الغين: ((فصوتُهُ عندما يخرجُ من فوَّهة الحلق، إنَّما يخرج مخربًّا ممحوّ الألوان مجلببًا بالسَّواد. وهكذا نسمعُ صوت هذا الحرف مثلما نرى اللَّيل المظلم البهيم))[12]. **المشهدُ الثَّاني:** يضمّ الآيات: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (7)﴾، وموضوعُه وصفُ حال الكافرين، وما ينتظرهم من عذاب نفسيٍّ وحسيّ؛ وقد حصل على أعلى نسبة للأصوات المتوسّطة[13] في السُّورةِ، وهي (27.2%).

الأصوات المتوسّطة	م	ن	ل	ع	ر

العدد	9	9	8	6	2

وإذا كان مفهوم التَّوسّط في الصَّوْت، هو ((أنَّ الصَّوْتَ يكونُ شديدًا، ويجري الصَّوتُ فيه ويمتدُّ به))[14]، فإنّ تواترها في هذا المشهد يعكس تشديدَ العذابِ على الكافرين، وامتداده، كما قال-تعالى-: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (107)﴾(سورة هود). وأكَّدتِ الأصواتُ الرّخوة الَّتي تكرَّرت أربع عشرة مرة بنسبة (20.89%) هذا الامتداد. فهذه الأصوات ((أصوات استمرارية متمادّة (Dauerlaute)، يمكن التَّغني بها، واستمرار نطقها بلا انقطاع ما دام في الرئتين هواء))[15].

الأصوات الرّخوة	ه	ص	س	ش	خ	ذ	ح	غ
العدد	5	2	2	1	1	1	1	1

واقتضى سياقُ التَّرهيب وتشديد العذاب هنا ورود صفات القوَّة في الأصوات؛ لذا نجد تفوّق صفة الجهر على الهمس، إذ بلغت الأصوات المجهورة واحدًا وسبعين صوتًا بنسبة (24.82%) مقابل سبعة عشر صوتًا مهموسًا بنسبة (17.89%) .

الأصوات المجهورة	ا	م	ن	ي	ل	ع	و	ء	ر	ج	ص	ض	ذ	ب	ق	غ
العدد	12	9	9	8	8	6	5	3	2	2	2	1	1	1	1	1
الأصوات المهموسة	ه	ص	ت	س	ح	خ	ش									
العدد	6	2	3	3	1	1	1									

والجهر من صفات القوَّة في الصَّوْت، إذ ((يهتزّ فيه الوتران الصَّوْتيان نتيجة احتكاك الهواء المندفع من الرئتين بهما))[16]. وممّا عمّق الإيحاء بهذا المعنى أصوات الاستعلاء -التي توحي بالقوّة والفخامة؛ ((لأنّ اللسان يعلو بها إلى جهة الحنك))[17]- إذ وردت سبع مرات في الألفاظ: (خَاشِعة – ناصِبة – تَصلَى – تُسْقَى – طَعام – ضَريع – لا يُغْني). ويُلحظ في هذهِ الأصوات أنَّ أربعة منها جمعت إلى جانب الاستعلاء صفة الإطباق، وهي الصَّاد الَّتي تكرّرت مرتين، والطَّاء، والضَّاد. وفي الصَّاد قوّة الصَّفِير، ((أي حدّة الصَّوْت، أو شدّة وضوح الصَّوْت في السَّمع))[18]، وفي الضَّاد قوَّة الاستطالة؛ ((لاستطالة مَخْرجها حتَّى تتَّصل بمخرج اللام، والحرف المستطيل يمتدّ الصَّوْت به))[19]. وبذلك ناسبتْ هذهِ الأصوات بفخامتها، وبما اجتمع فيها من صفات القوَّة تصوير فخامة العذاب الأُخرويّ وشِدَّته في هذا المشهد.

الفاصلة:

عرّفَ بدر الدّين الزَّركشيّ (ت794هـ) الفاصلة: ((هي كلمة آخر الآية، كقافية الشّعر وقرينة السَّجع))[20].غير أنَّ القافية تخضع للضَّرورة، ولا تخضع الفاصلة لتلك الضَّرورة، والسجع من الكلام

يتبع المعنى فيه اللَّفظ الَّذِي يؤدي السَّجع، وليس كذلك الفاصلة في القرآن؛ لأنَّ اللفظ فيه تابع للمعنى[21]. ونلمحُ في فواصل سُورة الغاشية العلاقة الوثيقة بين الصَّوت والمعنى، ففي هذا المشهد زاد الإيحاء بالعذاب والتَّرهيب والحسرة سماع الفاصلة المختومة بصوت التَّاء الَّتِي تُنطق هاء ساكنة عند الوقف، والمسبوقة بأصوات مجهورة في الألفاظ: (خاشعة – ناصبة – حامية – آنية)، فوجوه الكافرين ((خاشعة ذليلة مرهقة، عملت ونصبت، فلم تحمد العمل، ولم ترضَ الغاقبة، ولم تجدْ إلاَّ الوبال والخسارة، فزادت مضضًا وإرهاقًا وتعبًا))[22]. وهذا المعنى نلمسه في لفظة (خاشعة) في جَرْس الخاء –وهو من أصوات الحلق– الَّتِي ((يُعَانَى عند النُّطق بها نوع مشقّة))[23]، تلك المشقّة في النُّطق مناسبة لمشقّة الذُّلّ والهوان ومواجهة العذاب الأليم، وأضفى صوت المدّ الألف المتبوع بصوت الشّين المتفشّي انتشارًا مدويًّا لذلِّ الكافرين، وامتداد فضيحتهم أمام من يعرفهم من النَّاس، ومن لا يعرفهم. وأكّدت الفاصلة (ناصبة) المعنى السابق بجَرْس أصواتها، إذ إنّ النُّون بغُنّته يوحي بأنين لِشِدَّة التَّعب والإعياء، اللّذين يصوّرهما الصَّاد المستعلي المُطْبق، والباء الشَّديد الانفجاريّ.

وأمَّا الفاصلةُ (حامية) –الَّتِي كانت وصفًا للنَّار– فبدأت أيضًا بصوت حلقيّ هو (الحاء)، فيه مشقّة، ولاسيّما إذا لفظ مشدّدًا مفخّمًا عالي النَّبرة، ممّا يحاكي معاناة الكافرين من هذه النَّار، وهذه الدَّلالة الإيحائيَّة لصوت الحاء يثبته واقع الاستعمال اللُّغويّ، إذ أحصى حسن عباس أحدَ عشرَ مصدرًا في (المعجم الوسيط) بدأ بصوت الحاء، كانتْ هذه المصادر دالَّة على الحرارة، وتوحي بمشاعر إنسانيَّة لا تخلو من الحِدّة والانفعال[24].

وإذا ما انتقلنا إلى أصوات كلمة (آنية) –التي جاءت وصفًا للعين بمعنى ((قد بلغت إناها، وانتهت حرارتها))[25]– وجدنا مناسبتها لمعناها، ولسياق الآية أتمَّ المناسبة، إذ بدأت بصوت الهمزة ((من أشدِّ الحروف حين النُّطق؛ لأنّ مَخْرجَها فتحةُ المِزْمَار، ويحسُّ المرءُ حين ينطقُ بها كأنَّه يختنقُ))[26]، فضلاً عن أنَّها جمعت صوتين من أصوات المدّ (الألف والياء)، اللّذين توسّطهما صوتُ النّون، وكأنَّ الكلمةَ بهذهِ الأصواتِ الَّتِي لها قوّة إسماع تعبّرُ عن آهات وصرخات الاستغاثة من الكافرين، الَّذِين أُعِدّت لهم هذهِ العين المتناهية في حرارتها.

وفي الآيتين الآخيرتين من هذا المشهد تغيّرت الفاصلة من الهاء السَّاكنة إلى صوت العين المسبوق بصوت مدّ تارة بالياء وأخرى بالواو. وهذا الصَّوْت في وصف القدماء: مجهور، مستفل، متوسّط بين الشِّدَّة والرَّخاوة، مُصْمَت، ومنفتح[27]، ويحملُ هذا الصَّوْتُ صفات قوّة وصفات ضعف، فالجهرُ من صفات القوّة، والانفتاح من صفات الضَّعف، والتَّوسُّط والإصمات صفتان تتوسّطان بين الضَّعف والقوّة.

إنّ هذا المزيج من الصّفات لصوت العين صوَّرَ لنا طعام الكافرين المسمّى (ضريع). وقد كَثُرت الأقوال الَّتي تفسِّرهُ: قيل: هو نبت يسمّى شبرقًا إن كان رطبًا، ويسمّى ضريعًا إن كان يابسًا، وهو السمّ القاتل، فإذا يَبِس لا تقربُه دابّةٌ ولا ترعاه، وقيل عنه أيضًا: إنّه الحجارة، وقيل: هو شجرة في نار جهنّم[28].

فما يحمله صوتُ العين من قوّة في الجهر، يتناغمُ وصفة الطَّعام اليابس الشَّائك، أمَّا التَّوسّطُ والإصمات فيعكسان لنا إمكان أكل الكفّار له ومضغه على الرُّغم من صلابته، وتناغمَ تسفُّلُ اللّسان بهذا الصَّوت إلى قاع الفم، وعدم عُلُّوه إلى جهة الحنك[29]، مع ضِعَة هذا الطَّعام الذي لا تقربُه دابّة، ورسمَ صوتُ الرَّاء المرقّق-الَّذِي يُشيرُ ترقيقُه إلى ((نُحول يدلُّ على صوت الحرف عند النُّطق به، فلا يملأ الفم بصداه))[30]- النُّحُول والوَهن من هذا الطَّعام الَّذِي **(لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ)**، وحاكى توسّطه بين الضادّ المستطيل وياء المدّ استطالة معنويَّة لهذا الوهن والضُّعف في البدن. وفي الفاصلة الَّتي تلت (ضريع) وهي (جوع)، أضفى صوت العين الشِّدّة والظّهور على معنى الجوع، إذ إنَّ هذا الصَّوْت يضفي ((على معاني الألفاظ الَّتي يشارك في تراكيبها في الأعمّ الأغلب، كثيرًا من الفعاليَّة والعيانيَّة والظُّهور))[31]. فيكون الجوع هنا في منتهاه، تمكّنًا من الكافرين، ووضوحًا على وجوههم وأبدانهم.

المشهد الثَّالث من السُّورة تضمّن الآيات: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (8) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)﴾. وموضوع هذه الآيات التَّرغيب في ثواب الآخرة عن طريق تصوير الجنّة، وحال أهلها في النَّعيم والدّعة والسّرور. ولعلّ المقام هنا ناسبه تشكيلاً صوتيًّا اتّصف بخاصيتين:

إحداهما: الجهر والوضوح؛ لأنّ السَّماع يشكّل محورًا مهمًّا في التَّرغيب؛ لذا كانت الأصوات المهيمنة في هذا المشهد:

- الأصوات المجهورة، الَّتي بلغت اثنين وثمانين صوتًا، بنسبة (28.67%)، وهي أعلى نسبة من الأصوات المجهورة في السُّورة.

الأصوات المجهورة	ا	ي	و	م	ر	ع	ن	ل	ب	ج	ض	ء	غ	ذ	ز	ق
العدد	13	13	11	8	7	7	5	4	3	3	2	2	1	1	1	1

- كان من هذهِ الأصوات المجهورة أصوات المدّ: (الألف والواو والياء)، الَّتي سجلّت أعلى نسبة - أيضًا- في مشاهد السُّورة، وهي (44.23%).

أصوات المدّ	ا	و	ي
العدد	13	5	5

وهذه الأصوات بوضوحها السَّمعيّ العالي ناسبت استمالة النّفوس وترغيبها في العمل الصالح الَّذِي مآله الجنّة ونعيمها الأبديّ. ومن جهة أخرى تساوق خروج هذه الأصوات ((بامتداد ولين من غير كلفة على اللّسان؛ لاتّساع مخرجها))[32] مع حياة أهل الجنّة الهنية البعيدة من التَّنغيص.

– ومن بين الأصوات المجهورة أصوات الذَّلاقة: (الميم، والرَّاء، والنُّون، واللام)، وهذه الأصوات فيها ((خفة الحرف، وسهولة النُّطق به))[33]. وهي تشاركُ أصوات المدّ في خاصيَّة الوضوح السَّمعيّ، لحرية مرور الهواء عند النُّطق بها جميعًا[34].

الأصوات المتوسّطة	م	ن	ر	ل
العدد	8	5	7	4

– ومن الأصوات المهيمنة في هذا المشهد التي ساهمت في الوضوح والجهر صوت العين الَّذِي تكرّر سبع مرات في الكلمات: (نَاعمة – لِسَعْيها – عَالية – لا تَسمعُ – عين – مرفُوعة – موضُوعة)، إذ إنّ هذا الصَّوْت؛ لِضعف ما يسمع له من حفيف إذا ما قُورن بالغين اقترب من صوت الميم، والنّون، واللام، ومن أصوات اللّين الألف والواو والياء[35]، وقد أحصى حسن عبّاس أربعة وستين مصدرًا في معجم (محيط المحيط) احتوى صوت العين لمعاني العظم والظّهور والعلوّ، بما يتوافقُ مع العين المشدّدة عالية النّبرة[36]. وتتّفق هذه الإيحاءات لصوت العين مع هذه الكلمات الَّتِي تصف الجنّة ونعيمها.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أثر السِّياق في الإيحاء بدلالة الوحدات الصَّوتيَّة، إذ إنّ صوت العين وجدناه بوضوحه الصَّوتيّ في المشهد السَّابق موحيًا بتمكّن الضّعف والوهن من وجوه الكافرين وأبدانهم، وعكسَ الوضوح في الصَّوْت نفسه العُلُوّ والقوَّة في الكلمات الَّتِي تَصِفُ الجنَّةَ العالية في هذا المشهد.

الأخرى: الهمس والاستقرار، اقتضى هذا المَشْهد تشكيلاً صوتيًّا ناعمًا هادئًا تمثّل في:

– شُيُوع الصَّوْت المهموس، الذي ((لا يهتزّ معه الوتران الصوتيَّان، ولا يسمع لهما رنين حين النُّطق به))[37]، إذ بلغت هذهِ الأصوات ثلاثين صوتًا بنسبة (57. 31%)، وهي أعلى نسبة في مشاهد السُّورة، فتناغمَ هذا السّكون والهدوء في الوترين الصَّوتيّين مع وجوه أهل الجنّة النَّاعمة، وما هم فيه من الرِّضا والسُّرور، وعُلوّ المنزلة في الجنّة الَّتِي فيها ما تشتهي الأنفُس، وتَلَذُّ الأعين، ولا يُسمع فيها كلمة لَغْو.

الأصوات المهموسة	ه	ف	س	ت	ث	ك	ص

العدد	14	7	3	2	2	1	1

– ومن هذه الأصوات المهموسة سبعة وعشرون صوتًا رَخوًا، بنسبة (34.32%) وهي أعلى نسبة في مشاهد السُّورة، فاتّسق وجود هذه الأصوات الاستمراريَّة المتمادّة مع الرَّخاء الأبدي المستمرّ في الجنَّة.

الأصوات الرّخوة	ه	ف	س	ث	ز	ذ	ص	غ
العدد	14	7	3	2	1	1	1	1

4. التَّكرار: تكرار حرف الجرّ (في) الدَّالّ على الظرفيّة والاستقرار مع مجروره الضمير المتّصل (ها) ثلاث مرات. فالكلمة تبدأ بصوت الفاء الرخو، ثُمّ بصوت الياء، وهو حرف لين، ثُمّ صوت الهاء الرَّخو أيضًا، وتنتهي بصوت الألف التي تخرج بلين وامتداد. وبذلك أسهم تكرار (فيها) –بهذا التَّشكيل الصَّوتيّ الرَّخي الهادئ– في جعل الإيقاع في هذا المشهد رَخيًّا ممتدًّا كالرّخاء الَّذِي في الجنّة، والنَّعيم الممتدّ لأهلها. فتحقّق الانسجام الإيقاعيّ المرتبط بالمعنى العامّ عن طريق ظاهرة التَّكرار الَّتِي تُسهم في ترابط النُّصوص، الَّذِي إذا انتفى عنها انفصمَ النَّصُّ ((عن محيط حياته، وأصابه الضّمور، فالنَّصُّ يستمدّ حياته وحيويته، ونضارته من العَلاقات الَّتِي تربطه بغيره من النُّصوص))[38].

الفاصلة:

إنَّ الفاصلة الهاء السَّاكنة، مجيئها هنا يختلف عن المشهدين السَّابقين، اللَّذَينِ كان فيهما صوت الهاء موحيًا بدلالة سلبيَّة.

1. الغاشية _____ الفزع والرهبة
2. خاشعة ناصبة حامية آنية _____ الألم والحسرة (العذاب)
3. ناعمة راضية عالية لاغية جارية مرفوعة موضوعة مبثوثة_____ النَّعيم (الثواب)

وهذا التَّضادّ الدَّلاليّ في إيحاء صوت الهاء نابعٌ من الخصائص الصَّوْتيَّة له، إذ إنَّه –كما ذكر الدّكتور إبراهيم أنيس– ((عادة صوت مهموس يُجهرُ به في بعض الظُّروف اللُّغويَّة الخاصَّة، وفي هذه الحالة يتحرّك معها الوتران الصَّوْتيَّان))[39]. فكان الجهرُ مناسبًا لمقام فزع يوم القيامة ورهبته، ومناسبًا لصرخات الألم من الكافرين وحسرتهم. في حين كانَ الهمسُ في هذا الصَّوْت مناسبًا لمشهد النَّعيم والهدوء والاستقرار.

ويتّضح أثرُ الخصائص الصَّوْتيَّة في المعنى في هذا المشهد في تحليل ألفاظ الفاصلة:

(نَاعِمة)، أي: ((ذات بهجة وحسن))[40]. وهاتان الصّفتان من الصِّفات الظَّاهرة على الإنسان، تدركان بوضوح، ولعلَّ أصوات هذه الكلمة عكست هذا الوضوح، (فالنون والميم، والعين) كلّها أصوات

متوسّطة، تشاركُ أصوات المدّ الوضوح السَّمعيّ الَّذِي يضفي وضوحًا على ترف تلك الوجوه، فضلاً عن قوّة هذا الوضوح الَّتِي نلمسها بجهر أصوات الكلمة، ولعلّ المدّ الَّذِي في صوت الألف يدلّ على طول المدّة الَّتِي تنعم فيها الوجوه بهذا النّعيم، وعكس لنا الهاء الاستقرار والسَّكينة في النّعومة.

(رَاضِية) والرِّضا يستقرّ في الرّوح، ويعكس السّكينة والسَّماحة صفة على الوجوه. إنَّ شدَّة عمق الرّضا في نفوس المؤمنين تعكسه لنا قوّة الجهر في أصوات الكلمة: (الرَّاء والألف والضَّاد والياء)، وزاد من فخامة هذا الرّضا وتوكيده في النَّفْس التَّكرار الَّذِي في صوت الرَّاء؛ ((لأنَّها تتكرَّر على اللِّسان عند النُّطق بها، كأنَّ طرف اللّسان يرتعدُ بها، فكأنَّك نطقت بأكثر من حرف واحد))[41]، وأوحى لنا المدُّ في الألف بطول مدّة الرّضا المصحوبة بالاستقرار النَّاجم عن صوت الهاء بما يحمله من همس ورَخاوة.

(عَالِية) يبدو في صوت العين الَّذِي يوحي بالظّهور والسُّمو، والمتلو بصوتين فيهما قوّة إسماع عالية: (الألف واللام) صفة هذه الجنّة العالية ((مكانًا ومكانة))[42]، وأوحت الهاء السَّاكنة في نهاية الفاصلة بالاستقرار والثّبات في هذا الارتفاع، ولاسيّما أنّها من أصوات أقصى الحلق[43]، فكأنّها مثّلت القاعدة التي يرتكز عليها هذا العلو.

(لاغِية): ((وهي كلمة لا فائدة فيها... وإنّما نفى اللاغية عن الجنَّة، لأنَّ في سماع ما لا فائدة فيه ثقلاً على النَّفْس))[44]، وقيل: المراد باللّغو الكذب والبُهْتان[45]. وتحتملُ البنيةُ الصَّوتيَّةُ للكلمة كِلا المعنيين، إذ إنّ إنحراف اللِّسان في صوت اللام إلى الشِّدَّة[46] يطابقُ انحرافَ الخبر في الكذب والبهتان عن الواقع إلى الباطل، وناسبَ إيحاء صوت الغين بالعتمة والظَّلام – كما مرَّ بنا– ظلام الباطل. ومن جهة أخرى تناغم تعلّق اللّغو بالمسموع الثَّقيل على النَّفْس مع الجهر في أصوات هذه الكلمة: (اللام والألف والغين والياء)، فضلاً عن صفة الوضوح السَّمعيّ في صوت الألف، وصوت اللام. إنّ هذه الضَّوضاء الصَّوْتيَّة الحاصلة عند نُطق الكلمة قد بدَّدتْها (لا) الَّتِي نفتْ حدوثَ سماعِ اللاغية. فكان الخلاص من هذا اللّغو أحد النّعم الَّتِي يعيشها أصحابُ الجنَّة، إذ تخلّصوا من الكِذْب والبُهْتان والكلام الَّذِي لا نفعَ فيه.

(جَارية): الجيم صوت انفجاريّ، يوحي بالانتشار، وتُلي بصوت المدِّ الألف، والرَّاء المكرّر، فأحدثت هذه الأصوات تساوقًا مع دلالة اللَّفظة في الآية، الَّتِي كانت وصفًا لــ (عين) ((عظيمة الجري جدًّا، فهي بحيثُ لا تنقطعُ أصلاً لما لأرضها من الزّكاء والكرم، وما لمائِها من الغزارة وطيب العنصر، فهو صالحٌ لأنْ يعمَّ جميع نواحيها: أقاصيها وأدانيها، وإنْ عَظُم اتّساعُها، وتناءت أقطارُها وبِقاعُها))[47]. ومن ثَمَّ أعطت الهاء السَّاكنة الاستقرار والثّبوت لهذا الجريان، وأوحى خروجها من أقصى مخرج الحلق، بعمق مخرج هذه العين الجارية.

(مرفوعة) نلمح نعت السُّرر بالرِّفعة في ((السَّمْك أو المقدار))[48] في تفخيم الرَّاء السَّاكنة بعد فتح[49]، وفي العمق الَّذِي يحمله صوت العين الحلقيّ، كأنَّهما جسَّدا سمك هذه السُّرر وفخامتها، وفخامة من يجلس عليها. فضلاً عن أنَّ ما في المرفوع من الظّهور والعلوّ –وهما نقيضا الخفض– يطابق تمامًا الجهر والوضوح السَّمعيّ في أصوات الميم والرَّاء والواو والعين.

(موضوعة): إنَّ فخامة الأكواب الموضوعة، وفخامة استلذاذ أصحاب النَّعيم بأشربتها العتيدة الحاضرة ((متى ما أرادوا الشّرب ارتفعت تلك الأكواب لتصل بين أيديهم، وقد مُلِئت من شراب تلك العيون، فيستلذّون بما لا وصفَ له عند أهل الدُّنيا))[50]. كلّ هذه المعاني نحسُّها من إيحاء صوت الضَّاد المطبق المستعلي، وصوت المدّ واللّين (الواو) في الكلمة بيّن لنا طُول مدَّة الوَضْع بين أيدي أصحاب النَّعيم فضلاً عن السُّهولة الَّتي تَصلُ إليها أيديهم، ومن ثَمَّ فإنّ صوتَ العين ((من حيثُ فخامتُه، فهو غيرُ بعيدٍ في قرابته عن حرف الضَّاد))[51]. وبذلك أحدثتْ هذهِ الأصواتُ اتّساقًا مع دلالة الأكواب الموضُوعة.

(مصفوفة) ((الصَّفُّ: السَّطْرُ المُسْتَوي من كلِّ شيء معروفٌ، وجمعه صُفُوفٌ))[52]. وكانت نعتًا للنَّمارق، وهي جمع ((النُّمْرُقُ والنُّمْرُقة والنِّمْرِقة، بالكسر: الوسادة، وقيل: وسادة صغيرة))[53]. إنَّ صوت المدّ (الواو) يوحي لنا بطول هذا الصفِّ وامتداده، وهذا الامتداد كان بالتَّتابع أي وسادة بعد أخرى، وعمل التَّكرار الَّذِي حصل في الفاء –الذي فيه التَّفشّي– على رسم صورة ذلك التَّتابع والانتشار، ولعلّ هذا الانتشار يوحي لنا بالرّخاء والنَّعيم والتَّرف الَّذِي ينسدل على الوسائد لتريح من يتوسَّدها، والصَّاد من أقوى أصوات الصَّفِير للاستعلاء والإطباق اللَّذَين فيها[54]، وقوَّة الصَّاد تبيّن لنا شِدَّة الصَّفِّ بينَ النَّمارق فلا تبتعد واحدة من الأخرى، وعمل صوتا الميم والواو على بيان الوضوح في هذا الصَّفِّ؛ لأنَّهما من أصوات الوضوح السَّمعيّ.

(مبثوثة) البَثُّ في اللُّغة: ((بَثَّ الشيءَ والخَبَرَ يَبُثُّه ويَبِثُّه بَثّاً، وأَبَثَّه، بمعنًى، فانْبَثَّ: فَرَّقه فتَفَرَّقَ، ونَشَره))[55]، وكان هذا البثّ نعتًا لـــ (زَرابيّ)، الَّتِي هي البِساطُ ذو الخَمْلِ، وقيل: هي الطَّنافِسُ، لها خَمْلٌ رقيقٌ[56]. فناسبت الرِّقَّة في هذه الطَّنافس أو البساط وصفها بـــ (مبثوثة) من غير وصفها بـــ (متفرِّقة)، إذ إنَّ في الأولى الهمس والرَّخاوة في صوت الثَّاء المكرر، وفي صوت الهاء السَّاكنة، فضلاً عن الانتشار والتَّفرّق اللَّذين نحسُّهما في صوث الثَّاء الذي يوحي بالتَّفرُّق، وعزّز هذه الدَّلالة صوت الباء الانفجاريّ المنتشر، ومن ثمَّ أضفى المدّ بالواو امتدادًا للبثّ يناسب دلالة الانتشار. وهذا المعنى النّاعم الرّخي لا نحسُّه في الوصف بـــ (متفرّقة)، إذ لايتناغم ما في القاف من الجهر والشدّة مع رقّة الطّنافس وانتشارها للارتخاء والرّاحة.

المشهد الرابع: قوله –تعالى–: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) ﴾. تعرّضت الآيات لأمر عظيم، وهو التَّفكُّر في خلق الله (تعالى)؛ لذا تصدّرتِ فيه الأصوات المجهورة، إذ بلغ مجموعها سبعة وأربعين صوتًا، بنسبة (16.43%) من الجهر في السُّورة. وكانت الأصوات الشّديدة بمرتبة تالية، إذ بلغ عددها اثنين وعشرين صوتًا، منها أربعة عشر صوتًا مجهورًا بنسبة (33.84%)، وهي أعلى نسبة للشِّدَّة في مشاهد السّورة.

الأصوات المجهورة	ل	ء	ي	و	ر	ا	ن	ب	ط	ظ	ق	ع	ج	ض	م
العدد	12	7	5	4	3	3	3	3	1	1	1	1	1	1	1
الأصوات الشَّديدة	ء	ت	ك	ب	ط	ق	ج	ض							
العدد	7	4	4	3	1	1	1	1							

ليكون هذا العلوُّ السَّمعيُّ في الصَّوت المجهور، والصَّوت الشَّديد –((الذي يتكّون نتيجة لحدوث انغلاق تامّ لمجرى الهواء المندفع من الرِّئتين في نقطة المَخْرج، ثُمَّ يتبعه انفتاحٌ مفاجئٌ، فيندفع الهواء مُحْدِثًا صوتًا انفجاريًّا))[57]– مناسبًا لعلوِّ نبرة التَّشديد على الَّذين يهملون التَّفكُّر والتَّدبُّر في آيات الله في خلقه، تلك النَّبرة الَّتي نحسُّها في بدء هذا المشهد في قوله –تعالى–: **(أَفَلَا يَنظُرُونَ)** في صوت الهمزة الشَّديد الَّذي يقرع أذن المتلقيّ، وفي صوت الظَّاء المُطْبَق المستعلي، المتلو بصوت الرَّاء المضموم المفخّم، وبذلك حاكت هذه الأصوات بجَرْسها الفخم فخامة النَّظر الفكريّ إلى هذه الكيفيات المعدودة، وتناغم صوت المدّ (الواو) وصوت (النّون) بامتداد وضوحهما السَّمعيّ مع امتداد النَّظر بالبصر وتجاوزه إلى النَّظر بالبصيرة الباطنة.

الفاصلة:

ناسب تغيّر الفاصلة من (الهاء) السَّاكنة، وهو صوت رَخْو استمراريّ إلى صوت (التَّاء)، وهو من الأصوات الشَّديدة الآنية (Momentanlaute)، الَّتي تنتهي بمجرد زوال العائق، وانقطاع الهواء[58]. فهذه الشدّة في الصَّوْت، والسُّرعة في انتهاء جريانه تتناغمان مع سرعة خلق الله –تعالى– لهذه المخلوقات العظيمة: الإبل والسَّماء والجبال والأرض، من غير عناء أو جهد. ومن المناسبة بين الصَّوْت والمعنى في الفاصلة:

(خُلِقَتْ): الخلق في اللُّغة: ((ابتِداع الشّيء على مِثال لم يُسبق إليه: وكلّ شيء خلَقه الله فهو مُبْتَدِئه على غير مثال سُبق إليه))[59]. وتوحي أصوات الكلمة بهذا الابتداع والقدم للخلق، فصوتا الخاء والقاف كلاهما من أصوات الاستعلاء، الأوَّل مخرجه وسط الحلق، والآخر لهويّ من أقصى اللّسان، يتم معه قُرْب اللِّسان من الجدار الخلفيّ للحلق[60]، فتناغم هذا الاستعلاء والبُعْد في مَخْرج الخاء، وسحب اللِّسان

إلى الخلف في صوت الحاء مع القدم لهذا الخلق، وبُعْد المدارك عن تصوّره، وعمل صوت اللام المجهور المُذْلق بوضوحه على بيان وجود هذا الخلق واستمراره فالإبل، وكلّ ما خلق الله –تعالى– موجود أمامنا إلى يوم الدِّين.

(رُفِعَتْ) تناغمَ صوت الرَّاء المجهور المفخم مع فخامة هذا الرَّفع الَّذِي لا يعرف كنهه البشر، وعمل التَّفشي الَّذِي في الشّين والفاء وحتَّى الراء[61] على رسم الصّورة للسَّماء المرفوعة بكلّ ما فيها من نجوم، وكواكب وشهب، وأقمار، فكلُّ ما في السَّماء مرفوع بقدرة الخلاق العظيم. وعملت العين ببُعْد مَخْرَجِها على رسم بُعْد الرَّفع فنحن في الأرض بمجرد النَّظر إلى السَّماء ندركُ مدى البُعْد عنها، والتَّاء عمل على إيجاد الاستقرار، والاستمرار المؤقّت بما يحمله من همس.

(نُصِبَتْ) ((النَّصْبُ وَضْعُ الشيءِ ورَفْعُه))[62]. يتكوّن هذا الفعل من مرحلتين: (الوَضْع والرّفع). وهما متضادّان، وهذا ما نلمحه في البنية الصَّوْتية للفظة الَّتي بدأت بصوت النّون المُذْلق، ((إذا لفظ مخففاً مرقَّقًا أوحى بالأناقة والرِّقَّة والاستكانة))[63]، ثمَّ الانتقال إلى الصَّاد الَّذِي فيه الصَّفِير والإطباق والاستعلاء ممّا يتناغم مع رسم صورة رفع الجبال عن مستوى الأرض ورسوخها وثبوتها وشدّتها، وقوَّة الباء الشَّديد المجهور عرضت هذا المعنى، ولاسيّما أنَّ الباء صوت شفويّ قريب المخرج[64]، ولعلَّ هذا القُرْب يتناسبُ مع معنى الوضوح في رفع الجبال.

(سُطِحَتْ): ((السَّطْحُ ظهر البيت إذا كان مستوياً لانبساطه؛ معروف، وهو من كلّ شيء أعلاه،...، وسَطَحَ الله الأرضَ سَطْحاً: بَسَطَها)) [65]، وعملت أصوات هذا الفعل على بيان هذا المعنى، فالسّين صوتٌ مهموسٌ رَخْوٌ، وهو صوت ضعيف، والطَّاء من الأصوات المجهورة المستعلية، المطبقة، والحاء صوت مهموس رَخْو والتَّاء مهموس شديد. إنَّ تباين أصوات الكلمة بين القوّة والضّعف كأنَّما يمثّل طبيعة الكرة الأرضيَّة بكلِّ ما فيها من جبال وهضاب وسهول ووديان، فكأنّ السّين بهدوئها مثّلت الانبساط في الأرض، والطاء بالإطباق والاستعلاء مثّلت الجبال والتِّلال، والحاء مثّلت ما ينخفض من الأرض من وديان، والتَّاء مثّلت الامتداد للأرض.

المشهدُ الخامس تضمّن قوله –تعالى–: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (22) إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24)﴾ فقد هيّمنت فيه الأصواتُ المجهورة، إذ بلغ مجموعها سبعة وأربعين صوتًا، بنسبة (17.83%) من الجهر في السُّورة.

الأصوات المجهورة	ل	م	ا	ذ	ر	ء	ن	ب	ي	ع	و	ط
العدد	10	5	5	5	5	4	4	4	3	3	2	1

ممّا يتناسب مع وظيفة الرَّسول –صلّى الله عليه وآله وسلّم– في التَّذكّر الَّذِي فيه جهر وإعلان مع قوّة الحُجَّة، فضلاً عن مناسبتها لمقام تهديد الكافرين في الآيتين الأخيرتين. وكانت الأصوات المتوسّطة بين

الشِّدّة والرَّخاوة في المرتبة الثَّانية في هذا المشهد، إذ بلغَ عددُها سبعة وعشرين صوتًا، بنسبة (6. 21 %). بما يلائم عظمَ التَّذكُّر وأهمِّيَّة امتداد تردّده على مسامعنا من غير التَّسلُّط والشّدّة.

الأصوات المتوسّطة	ل	م	ر	ن	ع
العدد	10	5	5	4	3

الفاصلة:

تناغمَ معنى التَّذكُّر مع تغيّرِ حرف الرّويّ في الفاصلة من صوت التَّاء المهموس إلى الراء المجهور الَّذِي يتّصف بالتَّكرير، والرَّاء يناسب التَّذكير الَّذِي فيه تكرير، فضلاً عن مناسبة ترقيقه في: (فذكّر – مُذكّر – بمسيطر)؛ لسكونه؛ وكسر ما قبله[66] –ذلك التَّرقيق الَّذِي فيه نحول الصَّوْت– لنفي التذكر الَّذِي فيه تسلّط. وهو ما جسّدتُه الفاصلةُ (مُصيطر)، إذ إنّ السَّيطرة تحتاج إلى القوّة، وظهرت هذه القوّة في أصوات الكلمة، فالميم صوت قويّ بجهره ووضوحه السَّمعيّ، والصَّاد صوت صفيريّ، والطَّاء مُطْبَق مُسْتَعل، والياء صوت مجهور من أصوات اللّين وله ميزة الوضوح السَّمعيّ يشاركُه في هذا صوت الميم، فأوحت أصوات الكلمة بقوّتها قوّة السَّيطرة الَّتِي نفاها الله –تعالى– عن وظيفة الدَّاعية في إرشاد النَّاس.

وإذا كان ترقيقُ الرَّاء في الفاصلتين (مُذكّر– بمسيطر) ناسبَ نفيَ التَّسلُّط، فإنَّ تفخيمَ الرَّاء[67] في الفاصلتين اللتين تلتهما (وكفَر) و(الأكبر) تناغمَ مع تفخيم العذاب للذي كفر وتولّى، الَّذِي جاء وصفه بـــــ (الأكبر)، فجسّدت هذهِ الفاصلةُ بأصواتها عظمَ هذا العذاب، إذ اجتمعت فيها ثلاثةُ أصواتٍ شديدة: (الهمزة والباء والكاف)، فهذه الأصوات تُوحي بالانفجار والانتشار، ممّا يصوِّر عمقَ العذاب وشدَّته.

المشهدُ السَّادس –مشهد إعادة الخلق لدى الخالق للحساب– تضمّن الآيتين الكريمتين: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)﴾. وتصدّرتْ فيه الأصواتُ المجهورةُ –أيضًا– الَّتِي بلغَ عددُها ستةَ وعشرين صوتًا، بنسبة (9.9%) من الجهر في السُّورة.

الأصوات المجهورة	ن	ء	ا	م	ي	ب	ل	ع
العدد	6	4	4	4	3	2	2	1

فناسبَ اهتزازُ الوترين الصَّوْتيّين في تكوّن هذه الأصوات اهتزازَ النُّفوس واضطرابها وقلقها في هذا الموقف المهول بين يدي الله (تعالى). وزاد من شدَّة الموقف أنَّ ستةَ أصواتٍ من بين الأصوات المجهورة كانت تتَّسمُ بصفة الشِّدّةِ، وهي الهمزة الَّتِي تكرّرت أربعَ مرات، وصوت الباء الَّذِي تكرّر مرتين.

ومن الخصائص الصَّوْتيَّة الَّتِي لها صلة بالمعنى في هذا المشهد تكرارُ صوت الهمزة الَّذِي ((يُنطقُ بإغلاق الأوتار الصَّوْتيَّة إغلاقًا تامًّا يمنع مرور الهواء، فيحتبس خلفها ثُمّ تفتح فجأة، فينطلق الهواء

متفجّرًا))[68]. فأوحى هذا الإغلاق التَّامّ بسيطرة الله (تعالى) المطلقة، إذ لا يدع أحدٌ يفلتُ من حسابه. فضلاً عن تناغم هذا التكرار للصوت الانفجاريّ مع إحياء صور الانقلابات الكونيَّة المرعبة الَّتي تحدث عند قيام الساعة، وما يصاحبها من دمار وأهوال.

الفاصلة:

شاركَ الهمزة في دلالة شدَّة الحساب وإحكام سيطرة الله (تعالى) صوتا الميم والباء اللذان توسّطهما صوت الهاء في الفاصلة (إيابهم) و(حسابهم)، إذ إنَّ طريقة تكوّنهما بانطباق الشِّفتين انطباقًا تامًّا[69] توحي بتلك الدَّلالة. وصوت الهاء مهموس، والميم مجهور، فتناغم اجتماعهما في هذا الموقف تقديم الله (سبحانه) للنَّاس كلّ ما فعلوه من سرّ وجهر. وهكذا كان صوت الميم بطريقة تكوّنه موحيًا بدلالة سيطرة الله المطلقة، وباتّصافه بالجهر موحيًا بعرض ما فعله العباد في جهرهم في ذلك الموقف.

المَبْحَثُ الثَّاني

إيقاع الأداء التَّجويديّ ودلالته

يمكن القولُ: إنَّ هناك صلةً بينَ تحقيق قواعد التَّجويد، وظهورِ إيقاعِ الآيات القُرآنيَّة وجمالِها السَّمعيِّ، فضلاً عن أثرِ اتّباع قواعدِ التَّجويد وأحكام التِّلاوة في تحقيق أغراضِ الآيات القرآنيَّة، وتعميق معانيها في الأذهانِ. يقول ابن الجزريّ (ت833ه): ((وذلك أنَّ الألفاظ إذا أُجليت على الأسماع في أحسن معارضها، وأحلى جهاتِ النُّطق بها، حسب ما حثَّ عليه رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم–: (زيِّنوا القُرآنَ بأصواتِكم)[70]، كان تلقّي القلوب وإقبال النُّفوس بمقتضى زيادتها في الحلاوة والحُسن، فيحصل حينئذٍ الامتثالُ لأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والرَّغبة في وعدِه، والرَّهبة من وعيده، والطَّمع في ترغيبه، والارتجاء بتخويفه، والتَّصديق بخبره، والحذر من إهماله، ومعرفة الحلال والحرام وتلك فائدةٌ جسيمة، ونعمة لا يهملُ ارتباطَها إلاَّ محرومٌ))[71].

من هنا كانت أحكامُ التَّجويدِ –من مدٍّ، وأخفاء، وإظهار، وغيرها من الأحكام– ((من أبلغ وسائل الدَّلالة الصَّوْتيَّة تعبيرًا عن جوّ المراد، فضلاً عمَّا يُحدثه الأداء التَّجويديّ من إيقاع عذبٍ وتركيبٍ منسجم))[72]. ومن الأحكام التَّجويديَّة في سُورة الغاشية المباركة أحكام النّون السَّاكنة والتَّنوين، وأحكام المدِّ.

1.أحكام النُّون السَّاكنة والتَّنوين

جعل أكثر علماء التَّجويد للنّون السَّاكنة أو التَّنوين عند التقاء كلٍّ منهما بحرف من الحروف الهجائيَّة أربعة أحوال، هي: الإظهار والإدغام والإقلاب. وجاءت الأحوال الثَّلاثة الأولى في سُورة الغاشية دون الحالة الرّابعة.

أ. الإظهارُ:

الإظهارُ اصطلاحًا: ((إخراجُ كلِّ حرفٍ من مَخْرَجِه من غير غُنَّة في الحرف المُظْهَر))[73]. وتظهرُ النُّونُ السَّاكنة والتَّنوين عند ستة أحرف من حروف الحلق، وهُنَّ: الهمزة والهاء، والعين والحاء، والخاء والغين. وعلة الإظهار أن النُّون والغُنَّة بَعُدَ مَخْرجُهما من مخارج حروف الحلق، وإنَّما يقع الإدغام في أكثر الكلام؛ لتقاربِ المخارج، فإذا تباعدتْ وَجبَ الإظهار الَّذِي هو الأصل[74].

ومن أمثلة هذا الحكم في سُورة الغاشية:

1. ﴿يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾

ظهور التَّنوين –هنا– من غير وجود الغُنَّة ((الَّتِي تستغرقُ مُدَّةً في التِّلاوة يعني أنَّ الأمرَ يأتي بدون زمن، أي: بسرعة فائقة، ممَّا يُفسِّرُ أنَّ هذهِ الكلمةَ والكلمةَ الَّتِي تلتها ملتصقتان تمامًا. ولا يوجد فاصلٌ بينهما))[75]. وهذا يناسبُ حالَ الخاشعِ الذَّليل الَّذِي ((رمى ببصره نحو الأرض، وغضّه، وخفضَ صوتَه))[76]، بعدَ أنْ يُظهِرَ نظرةً من طرف خَفيٍّ بسرعة فائقة من شِدَّة الذُّلّ والمهانة.

2. ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾

هنا إظهارٌ، إذ لا نجدُ الغُنَّةَ في التَّنوين؛ لأنَّ بعده صوت الحلق (الحاء)، وبذلك لا توجدُ مسافة أو مهلة بينَ النَّار وحميها، فالحميُ ملتصقٌ بهذه النَّار، فهي ((دائمةُ الحَمْي، وليستْ كنار الدُّنْيا الَّتِي ينقطعُ حميُها بانطفائِها))[77].

3. ﴿مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾

إنَّ إظهار النُّون والتَّنوين من غير غُنَّة ناسب –هنا– هذه العين المُهَيَّأة للكافرين الَّتِي تكون في منتهى الحرارة أو –كما قيل–: ((قد أوقدت عليها جهنَّم مذ خلقت))[78]، فأصبحت حاضرة لهم لا تحتاج إلى مُهلة للتَّهْيئةِ والإعداد، تلك المهلة الَّتِي تعطيها الغُنَّة في التِّلاوة.

4. ﴿طَعَامٌ إِلَّا﴾

ليس هناك غُنَّة –أي مهلة أو مسافة– بين (طعام) و(إلاَّ)، أي إنَّ طعام الكفَّار ملتصقٌ بالضَّريع، والمعنى: ليس لهم طعام إلاَّ كائنٌ من ضريع، فيكون الجارّ والمجرور (من ضريع) في موضع رفعٍ على أنَّه بدلٌ من (طعام) الَّذِي هو اسم (ليس)[79].

5. ﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾

نجد –هنا– إظهارًا في تنوين كلمة (جنَّة)؛ لأنَّه جاء بعده حرف العين، ممَّا يوحي بظهور هذه الجنَّة الَّتِي تكون ((مُرْتفعة؛ لأنَّها فوق السَّماوات))[80].

ب. الإخفاء:

الإخفاءُ في الاصطلاح ((النُّطق بالحرف بصفة بين الإظهار والإدغام عارٍ من التَّشديد مع بقاء الغُنَّة في الحرف الأول))[81]. وهو هنا النُّون السَّاكنة والتَّنوين. وحروفه خمسةَ عشرَ حرفًا جُمِعت في أوائل كلمات هذا البيت:

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا دُمْ طَيِّبًا زِدْ فِي تُقًى ضَعْ ظَالِمَا[82]

أمثلة هذا الحكم في سُورة الغاشية:

1. ﴿مِن جُوعٍ﴾

ناسب إخفاء النُّون –هنا– مع وجود الغُنَّة –الَّتِي ((تُشبه المدّ واللِّين))[83]– امتداد الجوع الَّذِي يسلّطه الله –تعالى– على الكفّار، إذ ((إنّ لهم جوعًا وعطشًا إلى الطعام والشَّراب كما أنَّ للجائع والعطشان في الدُّنيا شهوة إليهما لكنَّهما لهم هناك قد بلَغَا الغاية بتسليط الله –تعالى عزّ وجلّ– بدون سبب عادي على نحو ما في الدُّنيا))[84].

2. ﴿عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾

نجد –هنا– غُنّة مع الإخفاء، للدَّلالة على كَثْرَة جريان الماء واستمراره، إذ قيل في تفسير العين الجارية: ((يجري ماؤها ولا ينقطعُ، وعدم الانقطاع إمَّا من وصف العين؛ لأنَّها الماء الجاري، فوصفُها بالجريان يدلُّ على المبالغة كما في (نار حامية)، وإمَّا من اسم الفاعل، فإنَّه للاستمرار بقرينة المقام، والتَّنكير للتَّعظيم))[85]

3. ﴿مَن تَوَلَّى﴾

وقع الإخفاء هنا في أقوى مراتبه؛ لقربِ النُّون من التَّاء في المَخْرَج[86]، فناسبت قوَّةُ الإخفاء هنا حال المتولّي الَّذِي يُخفي آيات الله –تعالى– البيِّنات الدَّالَّة على توحيده، فلا يكون لها حضور في حياته.

ج. الإدغام:

الإدغام في اصطلاح اللُّغويِّين: هو((أنْ تصل حرفًا ساكنًا بحرف مثله متحرك من غير أن تفصلَ بينهما بحركة أو وقف فيصيرانِ لشِدَّة اتّصالهما كحرف واحد يرتفع اللِّسان عنهما رفعةً واحدةً شديدة))[87].

ومن وصل السَّاكن بالمتحرّك ممَّا يدخل في ظاهرة الإدغام وصل النُّون السَّاكنة والتَّنوين بستة حروف جُمِعت في قولهم: (يرملون). وقسّم العلماء الإدغام –هنا– على قسمين:

أحدهما– إدغام ناقص بغُنَّة، وحروفه في كلمة (يومن). يقول ابن الجزريّ عن النون والتَّنوين ((إدغامهما في حروف (يومن) إدغامًا غير مستكمل التَّشديد لبقاء الغُنَّة، وهي بعض الحرف))[88].

والآخر- إدغام كامل بلا غُنَّة، حروفه هما اللام والرَّاء، وعلَّة ذلك قُرْبُ مَخْرَجِ النُّون والتَّنوين من مَخْرَجِ اللام والرَّاء؛ لأنَّهما من حروف طرف اللِّسان[89].

وشرط الإدغام أنْ تكونَ النُّون مع هذه الحروف في كلمتين، فإنْ كانت في كلمة واحدة وجب الإظهار[90].

وكان الإدغام في سُورة الغاشية من النَّوعِ الأوَّلِ، وهو النَّاقصُ بغُنَّة الَّذِي ((يحتوي على مسافة زمنيَّة تساعدُ في إبراز المعنى من ناحية أنَّه يوجد امتداد أو طول أو أتّساع للمعنى أو عدم عجلة))[91].

1. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾

وقع التَّنوين في كلمة (وجوه)، ووقع بعده صوت الياء في الكلمة الثَّانية، فأصبحتِ الكلمتانِ في النُّطق: (وجوهيومئذ) بتشديد الياء مع خروج صوت الغُنَّة، ممَّا يوحي بالمسافة الزَّمنيَّة بين الوجوه وخشوعها: أي ذُلّها؛ لمنح هؤلاء الكافرين المستغرقين في الهوان الزَّمن الكافي لعلّهم يستفيقون من غفلتهم عن ذلك اليوم الرَّهيب.

2. ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾

وقع التَّنوين في كلمة (عاملة)، ووقع بعده صوت النُّون في الكلمة الثَّانية، فأصبحتِ الكلمتانِ في النُّطق: (عاملتناصبة). وهذه الغُنَّةُ النَّابعة من الإدغام أعطت مهلةً زمنيَّةً ناسبتِ المسافةَ بينَ عمل تلك الوجوه ونَصبْها، أيْ ((عملها في الدّنيا، ونَصبْها في الآخرة))[92].

ومن جهة أخرى أنَّ ما في الإدغام هنا من الامتداد والطّول يناسبُ امتدادَ العذاب لهذه الوجوه، واستمرار النَّصب، إذ إنَّها ((عاملةٌ في النَّار، ناصبةٌ فيها تعالجُ أنواع العذاب الَّذِي تُعذَّب به، وتتعبَ لذلك))[93].

3. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾

الإدغام هنا في موضعين: **أحدهما** في: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ)**، وهو يوحي -أيضًا- بالمهلة الزَّمنيَّة بين الوجوه، وما ينالُها من نِعَم الله **(تعالى)**، تلك المهلة الَّتِي يُصوِّرُها صوتُ الغُنَّة، ممَّا يُرغّب المؤمن في العمل لآخرته؛ ليكون من الفائزين المسرورين بتوالي نِعَم الله **(تعالى)** عليه.

الآخر: **(يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ)**، هنا يظهر معنى امتداد نعمة الله -تعالى- على الوجوه المؤمنة، ومضاعفة الخير لها من الغُنَّة الَّتِي تظهر من التَّنوين والنّون، فالوجوه النَّاعمة هي تلك ((الوجوهُ الغارقةُ في نعمة الله، وجوهٌ طَرِيَّةٌ مسرورةٌ ونورانيَّة... فتراهم في غاية الرِّضى والسُّرور، وما زرعوا سيتضاعف ناتجُه بإذن الله ولطفه أضعافًا مضاعفة))[94].

4. ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾

الإدغام النَّاقص بينَ كلمة (سُرُر)الَّتي آخرها التَّنوين، وكلمة (مرفُوعة) الَّتي أولها حرف الميم، نتجت عنه غُنَّةٌ فيها طولٌ يناسبُ إطالة النِّعَم الَّتي يغدقها الله –تعالى– على المؤمنين بهذه السُّرُر المرفوعة، إذ ((يرى المؤمنُ إذا جلسَ عليها جميعَ ما أعطاه ربُّه في الجنَّة من النَّعيم والملك))[95].

5. ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾

الإدغام النَّاقص هنا كانت غُنّته –التي فيها امتداد– مناسبة لتلك الأكواب الَّتي مُلِئت، ووُضِعت على طول حافات العيون؛ لتكون بين أيدي المؤمنين، فضلاً عن استمرار نعمة وضعها ودوام استلذاذهم بأشربتها

2.**المدُّ:**

المدُّ هو ((حكمٌ يجب لحروف المدِّ واللِّين إذا كان عقبيها همزة أو حرف ساكن مدغم أو مُظهَر كـ (السَّماء) و(البناء) و(قائل) و(بائع)، وكـ (الظَّالين) و(العادِّين) و(الصاخَّة)... وما أشبه ذلك))[96].

ومن أنواعه في سورة الغاشية:

أ. المدُّ المتّصل في كلمة (السَّماء)

ففي كلمة (السَّماء) في قوله **–تعالى–:** ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾، كان المدُّ المتّصل –((بمعنى إنْ جُمع المدُّ والهمزُ بكلمة))[97]– يوحي بما في ارتفاع النَّظر إلى السَّماء من دلائل على قدرة الخالق وجلاله في خَلْق السَّماء في عُلُوِها وسَعتها ونجومها، ومن ثَمَّ فإنَّ رفعَ السَّماء ((رفعًا سحيقَ المدى بلا عماد ولا مِسَاك، بحيث لا يناله الفَهْمُ والإدراكُ))[98] يتناسبُ مع وجوب إطالة المدِّ هنا زيادة على الطَّبيعيّ مدار أربع أو خمس حركات[99].

ب.المدّ المنفصل في ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾

يكون المدُّ منفصلاً ((بأنْ يقعَ الهمزُ بعد حرف المدِّ، وكلٌّ منهما في كلمة))[100]. كما في الهمزة في أول كلمة (إيابهم)، وحرف المدّ الألف في نهاية كلمة (إلينا)، فطال مدّها ليلائم رجوع الخليقة بامتداهم من أوّلهم إلى آخرهم، وجمعهم يوم القيامة.

ج. المدّ العارض للسكون:

بمعنى ((أنْ يقعَ بعد حرف المدِّ أو اللِّين ساكنٌ عرضَ له لأجل الوقف))[101]. **وجاء في موضعين من سورة الغاشية:**

أحدهما- كلمة (ضريع) في قوله -تعالى-:﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾. كان مدّ الياء فيها مناسبًا لرفع الصَّوْت بالدُّعاء والتَّضرُّع للخلاص من هذا الطعام الَّذِي ((يَضرعُونَ عنده، ويُذَلُّون، ويتضرَّعونَ منه إلى الله -تعالى-؛ طلبًا للخلاص منه))[102].

والآخر- مدّ (الواو) في كلمة (جوع) في قوله -تعالى-:﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾، إذ أشار هذا المدّ إلى امتداد تحمُّلِ مشاقّ هذا الجوع الأُخرويِّ الشَّديد الَّذِي لا نهاية لأمده، فلا موت بعده؛ ليستريح الإنسان من مَشَاقّه.

الخاتمة

خَلصَ البحثُ إلى جملة نتائجَ، أهمُّها:

1. إنَّ تنوّعَ صفاتِ الأصوات، وعَلاقاتِها المَخْرجيَّة من شَأنه أنْ يخلقَ تنوّعًا في جَرْس الصَّوت، وإيقاع الكلمة ممّا يُسهم في الإيحاء بالمعنى وتوضيحه.
2. حاولَ البحث ربط نسبةِ شُيوعِ أصواتٍ معيَّنة في مشاهد سُورة الغاشية، بأغراض السُّورة ودلالاتِها، ومن نتائج ذلك:

- شُيوع الأصوات المتوسِّطة في مشهد تصوير عذاب الكافرين، إذ كانتْ نسبتُها (27.2%)، وهي أعلى نسبة للأصوات المتوسِّطة في مشاهد السُّورة، وقد تَناغمَ شُيوع هذهِ الأصوات الَّتِي تكون شديدةً، ويمتدّ الصَّوْتُ فيها مع تشديد العذاب للكافرين وامتداده. وشاعَتْ في هذا المشهدِ صفات القوّة في الصَّوت كالجهر والاستعلاء والإطباق، فهذه الأصوات ناسبت بقوّتها فخامة العذاب الأُخرويّ.
- اقتضى وصفُ الجنَّة وما فيها من نعيم تشكيلاً صوتيًّا اتّصف بخاصيتين: **إحداهما:** الجهر والوضوح، إذ حصلتِ الأصواتُ المجهورةُ على نسبة (28.67%)، وهي أعلى نسبة لها في مشاهد السُّورة، وتناغمَ هذا التَّفوقُ الجهريّ مع التَّرغيب في ثواب الآخرة الذي يشكّلُ السَّماع محورًا مهمًّا فيه. **والأخرى:** الهدوء والاسترخاء، فقد سجَّلت الأصواتُ المهموسة في هذا المشهد أعلى نسبة في مشاهد السّورة، وهي (31. 57%) ، فتناغم الهدوء الَّذِي في هذه الأصواتِ مع حياة الهدوء والسَّكينة في الجنَّة.
- تصدّرتِ الأصوات المجهورة في مشهد التَّفكُّر في خلق الله -تعالى- إذ بلغ مجموعُها سبعة وأربعين صوتًا، بنسبة (16.43%) من الجهر في السّورة، وكانتِ الأصواتُ الشّديدة بمرتبة تالية، إذ بلغ عددُها اثنين وعشرين صوتًا، منها أربعة عشر صوتًا مجهورًا بنسبة (33.84%)، وهي أعلى نسبة

للشِّدَّة في مشاهد السّورة. وكان هذا العلوُّ السَّمعيُّ في الصَّوت المجهور، والصَّوت الشَّديد الانفجاريّ مناسبًا لعلوِّ نبرة التَّشديد على الَّذين يهملون التَّفكُّر والتَّدبُّر في آيات الله في خلقه.

– هيّمنتِ الأصواتُ المجهورة، في سياق الآيات الَّتِي تدعو الرَّسول إلى القيام بمهمته في تذكير العباد من غير التَّسلُّط، إذ بلغ مجموعُها سبعة وأربعين صوتًا، بنسبة (17.83%) من الجهر في السُّورة. ممّا يتناسب مع وظيفة الرَّسول –صلّى الله عليه وآله وسلّم– في التَّذكّر الَّذِي فيه جهر وإعلان مع قوّة الحُجَّة. وكانت الأصوات المتوسّطة بين الشِّدّة والرَّخاوة في المرتبة الثَّانية في هذا المشهد، إذ بلغَ عددُها سبعة وعشرين صوتًا، بنسبة (6. 21 %). بما يلائم عظمَ التَّذكُّر وأهمِّيَّة امتداد تردّده على مسامعنا من غير التَّسلُّط والشّدّة.

3. بيّنَ البحثُ أنَّ الصَّوْت اللُّغويَّ الواحد قد يوحي بالمعنى وضدِّه أو خلافه، وهذا يعود إلى أمور، منها:

– أثر السِّياق في الإيحاء بمعاني الوحدات الصوتيَّة، فصوت العين وجدناه بوضوحه الصَّوتيّ في الفاصلتين اللَّتين صوّرتا طعام الكافرين: (ضريع) و(جوع) كانَ موحيًا بتمكّن الضّعف والوهن من الكافرين، وعكسَ الصَّوت نفسه بوضوحه في مشهد ثواب الجنَّة العلوّ والقوّة في الكلمات الَّتِي تَصفُ الجنَّة العالية: (ناعمة – لِسْعيها – عالية – لا تسمع – عين – مرفوعة – موضوعة).

– قد يكون إيحاء الصَّوت بالمعنى وضدّه نابعًا من الخصائص الصَّوتيَّة له، فصوتُ الهاء الذي يكونُ عادةً مهموسًا يُجهر به في بعض الظّروف اللُّغويَّة، وهذه السِّمة جعلته مناسبًا لفواصل فزع يوم القيامة ورهبته، وصرخات الألم من الكافرين، بما يتوافق مع الجهر به في بعض الظّروف، في حين كان الهمس في هذا الصَّوت مناسبًا في فواصل مشهد الهدوء في الجنّة.

– اختلاف الصوت من حيثُ التَّفخيمُ والتَّرقيقُ، إذ وجدنا مناسبة ترقيق صوت الراء في الفاصلتين: (مُذكّر– مُصيطر) –ذلك التَّرقيق الَّذِي فيه نحول الصَّوت– لنفي التَّذكُّر الَّذِي فيه السَّيطرة. وفي الفاصلتين اللَّتين تلتهما: (وكفر– والأكبر) تناغم تفخيم الرَّاء مع تفخيم العذاب الأخرويّ للَّذِي كفرَ وتولّى، الذي جاء وصفه بـــ (الأكبر).

3. أظهر البحثُ أنَّ الإيقاع العذب النَّاشىء عن التزام قواعد التَّجويد كان له أثرٌ في تعميق المعنى، والإيحاء به في كثير من المواضع في سُورة الغاشية المباركة، من ذلك:

– مناسبة إخفاء النُّون مع وجود الغُنَّة –الَّتِي تُشبه المدّ واللِّين– لامتداد الجوع الَّذِي يسلّطه اللهُ – تعالى– على الكفّار، وكَثْرة جريان الماء واستمراره.

– مناسبة إظْهار النُّون أو التَّنوين من غير وجود الغُنَّة –الَّتي تستغرق مدّة أو مهلة في التِّلاوة– لالتصاق الحميِ بالنَّار في قوله –تعالى–:﴿نَاراً حَامِيَةً﴾، ومناسبته للعين المهيَّأة للكافرين في قوله –تعالى–: ﴿مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾، فأصبحت حاضرة لهم لا تحتاج إلى مُهْلة.

– مناسبة الإدغام النَّاقص بغنَّة –الذي فيه امتداد أو اتِّساع– للمسافة بين عمل الكافرين في الدُّنيا، ونصبْهم في الآخرة في قوله –تعالى–:﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾، ومناسبته لامتداد نعمة الله –تعالى– على الوجوه المؤمنة، ومضاعفة الخير لها في قوله –تعالى–: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾.

– مناسبة المدّ المنفصل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾؛ لرُجوع الخليقة بامتدادهم من أوّلهم إلى آخرهم، وجمعهم يوم القيامة.

الهوامش:

(1) الصَّوْت اللُّغويّ في القُرآن 163.

(2) يُنْظَر: الجامع لأحكام القرآن 238/22، ومجمع البيان263/10، والتَّحرير والتَّنوير293/30–294، وفي ظلال القرآن ج3895/30.

(3) الخصائص 2/ 157.

(4) المصدر نفسه 2/ 163.

(5) يُنظَر: موسيقى الشعر 24 و37، والتَّشكيل المكانيّ وإنتاج المعنى (بحث) 47.

(6) يُنظَر: خصائص الحروف العربيَّة ومعانيها 190 و197–198.

(7) البحر المحيط 8/ 457.

(8) يُنظَر: المصطلح الصَّوْتيّ64.

(9) يُنظَر: إبراز المعاني 753.

(10) روح المعاني112/30.

(11) يُنظَر: النشر في القراءات العشر 199/1.

(12) خصائص الحروف العربية ومعانيها124.

(13) عدّ بعض العلماء الأصوات المتوسطة ثمانية، يجمعها في اللفظ (لم يَرْوِعْنا). ينظر: المُوضح في التجويد 89. وعدّها آخرون خمسة أصوات –وقد أخذنا برأيهم- إذ أُبعدت أصوات المدّ واللين التي من الممكن أن تكون قسمًا رابعًا لا يدخل في أيّ من الأقسام الثلاثة: المتوسّطة أو الشَّديدة أو الرَّخوة. يُنظر: النَّشر في القراءات العشر1/ 202، والدّراسات الصَّوتية عند علماء التَّجويد 259 .

(14) يُنظَر: المصطلح الصَّوْتيّ111.

(15) المدخل إلى علم اللغة 41.

(16) المصطلح الصَّوْتيّ 105.

(17) التَّحديد في الإتقان والتَّجويد 106–107.

(18) المصطلح الصَّوْتي120.

(19) الدُّرر البهيّة 37.

(20) البرهان في علوم القرآن 153/1.

(21) يُنْظر: إعجاز القرآن 88.

(22) في ظلال القرآن 3896/30.
(23) المُوْضح في التَّجويد103.
(24) يُنظَر: خصائص الحروف العربية ومعانيها 179–180و 182.
(25) مجمع البيان 265/10.
(26) موسيقى الشعر26.
(27) يُنظر: الكتاب 4/ 435 و128/4–129، والمقتضب 225/1، والتَّحديد في الإتقان والتَّجويد 106–107.
(28) يُنْظَر: فتح القدير 1221/2.
(29) يُنْظر: التَّحديد في الإتقان والتَّجويد 107، وهمع الهوامع 455/3.
(30) الدُّرر البهية شرح المقدمة الجزرية 45.
(31) خصائص الحروف العربية ومعانيها 210.
(32) الدُّرر البهية19.
(33) المصدر نفسه 31.
(34) يُنْظَر: علم الأصوات 366.
(35) يُنظَر: الأصوات اللُّغويَّة 88 .
(36) يُنْظَر: خصائص الحروف العربية ومعانيها 212–214.
(37) الأصوات اللُّغويَّة 22.
(38) توالد النُّصوص وإشباع الدَّلالة (محاضرة الأهواني) (بحث) 33.
(39) الأصوات اللُّغويَّة76.
(40) الكشَّاف 247/4.
(41) همع الهوامع 456/3.
(42) البحر المحيط 8/ 458.
(43) يُنظَر: العين 57/1، والنَّشر 1/ 199.
(44) التِّبيان في تفسير القرآن10/ 336.
(45) يُنْظَر: فتح القدير2/ 1222.
(46) يُنْظر: الرِّعاية 130،
(47) نظم الدّرر 408/8.
(48) روح المعاني 115/30.
(49) يُنظَر: هداية القاري123.
(50) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل 15/ 279.
(51) خصائص الحروف العربية ومعانيها 209.
(52) لسان العرب (صفف) 9/ 194.
(53) المصدر نفسه (نمرق) 361/10.
(54) يُنظَر: الرعاية 124.
(55) لسان العرب (بثث) 2/ 114.
(56) يُنظَر: المصدر نفسه (زرب) 447/1.
(57) يُنظَر: المصطلح الصَّوْتي109.
(58) يُنظَر: المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(59) لسان العرب 85/10.

(60) يُنْظر: المُوضح في التَّجويد 78 و103 و138، ومناهج البحث في اللُّغة 96-97.
(61) يُنظَر: إبراز المعاني 753.
(62) لسان العرب (نصب) 1/ 758.
(63) خصائص الحروف العربيَّة ومعانيها 158.
(64) يُنظَر: الرِّعاية 142.
(65) لسان العرب (بسط) 484/3.
(66) يُنظَر: هداية القاري127-128.
(67) تفخّم الرّاء المتطرّفة السّاكنة في الوقف المتحرّكة في الوصل إذا سبقت الرّاء فتحة. يُنظَر: هداية القاري 130.
(68) المدخل إلى علم اللُّغة 56.
(69) يُنظَر: المُوضح في التَّجويد 101.
(70) سنن أبي داوود 1/ 330.
(71) التَّمهيد في علم التَّجويد 45- 46.
(72) البلاغة الصَّوْتيَّة في القُرآن الكريم 69.
(73) هداية القاري 1/ 159.
(74) يُنْظَر: التَّمهيد في علم التَّجويد 153-154.
(75) إعجاز رسم القُرآن وإعجاز التِّلاوة 203.
(76) لسان العرب (خشع) 8/ 71.
(77) الجامع لأحكام القُرآن 22/ 242.
(78) مجمع البيان 265/10.
(79) يُنْظَر: البحر المحيط 8/ 458.
(80) الجامع لأحكام القُرآن 22/ 247.
(81) الدُّرر البهيَّة 65.
(82) هداية القاري 168/1-169.
(83) الكشف عن وجوه القراءات 164/1.
(84) روح المعاني 114/30.
(85) المصدر نفسه 115/30.
(86) يُنْظَر: هداية القاري 173/1.
(87) شرح المفصّل 121/10.
(88) التَّمهيد في علم التَّجويد 156.
(89) يُنْظَر: المصدر نفسه 155.
(90) يُنْظَر: أحكام التَّجويد والتِّلاوة 20.
(91) إعجاز رسم القُرآن وإعجاز التِّلاوة 210-211.
(92) الميزان في تفسير القرآن 308/30.
(93) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(94) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل 15/ 277.
(95) التَّفسير الكبير 156/31.
(96) المُوضح في التَّجويد 128.
(97) الدُّرر البهيَّة 67.

(98) روح المعاني 117/30.
(99) يُنْظَر: الدُّرر البهيَّة 67.
(100) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(101) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(102) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

المصادرُ والمراجعُ

* **القرآن الكريم.**

* **الكتب:**

1. **إبراز المعاني من حـــرز الأماني في القراءات السّبـــع**، عبـــد الرَّحمـــن بن إسماعيل بن إبراهيم الدّمشقيّ المقدسيّ الشّاطبيّ (ت665هـــ)، تحقيق وتقديم: إبراهيم عطوه عوض، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، 1398هـــ ــ 1978م.
2. **أحكام التَّجويد والتِّلاوة**، محمود بن رأفت بن زلط ، النّاشر مؤسسة قرطبة للطّباعة والنَّشر– مدينة الأندلس الهرم، ط1، 1427 هـــ – 2006م.
3. **ــ الأصوات اللُّغويَّة:** د.إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، د. ت.
4. **إعجاز رسم القرآن وإعجاز التِّلاوة**، محمّد شملول، تقديم: الشَّيخ عليّ جمعة، دار السَّلام للطّباعة والنَّشر والتَّوزيع –القاهرة، ط1، 1427ه– 2006م.
5. **إعجاز القُرآن، أبو بكر محمّد بن الطيب الباقلانيّ (ت 403ه)**، تحيق: السيّد أحمد صقر، دار المعارف –مصر، (د. ت).
6. **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، الشَّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ، النّاشر مدرسة الإمام عليّ(عليه السَّلام)، مطبعة سليمان زاده – قم، **ط1، 1426 ه** .
7. **البحر المحيط**، أبو حيّان أثير الدّين محمّد بن يُوسُف الأندلسيّ (ت 745ه)، تح: الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العِلْميَّة– بيروت، ط1، 2001م.
8. **البرهان في علوم القران**، بدر الدين محمّد بن عبد الله الزَّركشي (ت 794 هـــ) ـ تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربيَّة – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1957م.
9. **البلاغة الصَّوْتية في القُرآن الكريم**، محمّد إبراهيم شادي، الشَّركة الإسلاميَّة للإنتاج والتَّوزيع والإعلان –الرّسالة، مطابع المختار الإسلاميّ، ط1، 1409ه– 1988م.
10. **التِّبيان في تفسير القُرآن**، أبو جعفر محمَّد بن الحسن الطُّوسيّ (ت460هـــ)، تح: أحمد حبيب قصير العامليّ، المطبعة العِلْميَّة ومطبعة النّعمان –النَّجف الأشرف،1957م– 1965م.

11. **التَّحديد في الإتقان والتَّجويد**، أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني الأندلسيّ (ت444هـ) دراسة وتحقيق: د. غانم قدوري حمد، دار عمّار للنّشر والتّوزيع – عَمَّان، ط1، 2000م.
12. **التَّحرير والتَّنوير**، محمّد الطّاهر بن عاشور (ت1393هـ)، دار سحنون للنَّشر والتَّوزيع- تونس، 1997م.
13. **التَّفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، فخر الدّين محمّد الرّازيّ (ت604هـ)، دار الفِكْر للطّباعة والنّشر- لبنان، ط1، 1981م.
14. **التَّمهيد في علم التَّجويد**، محمّد بن محمّد بن الجزريّ (ت833ه)، تح: د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف- الرِّياض، ط1، 1405ه- 1985م.
15. **الجامع لأحكام القُرآن، أبو عبد الله** محمَّد بن أحمد القُرطبيّ (ت671هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركي، مؤسسة الرِّسالة- بيروت، ط1، 1427ه-2006م.
16. **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت 392ه)، تح: محمّد عليّ النَّجّار، مطبعة دار الكتب العلميَّة المصرية، 1957م.
17. خصائص الحروف العربيَّة ومعانيها، حسن عباس، **منشورات اتّحاد الكُتَّاب العرب – دمشق، 1998م.**
18. **الدُّرر البهيَّة: شرح المقدِّمة الجزريَّة في علم التَّجويد**، أسامة بن عبد الوهاب، مكتبة الإيمان للطّباعة والنَّشر والتَّوزيع، مطبعة المدنيّ- المؤسسة السّعوديّة بمصر، ط2، 1425ه-2005م.
19. **الرِّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التِّلاوة**، أبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسيّ (ت437ه)، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمَّار – عَمَّان، ط3، 1996م.
20. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**، أبو الفضل شهاب الدّين محمود الآلوسيّ (ت 1270هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ- بيروت، (د. ت).
21. **سنن أبي دود**، ابن الأشعث السّجستانيّ (ت 275ه)، تحقيق وتعليق: سعيد محمَّد اللحام، النَّاشر دار الفكر للطّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط1، 1410ه- 1990م.
22. **شرح المفصّل**، أبو البقاء يعيش بن عليّ بن يعيش (ت 643ه)، عالم الكتب- بيروت، (د. ت).
23. **الصَّوْت اللُّغويّ في القُرآن:** د. محمَّد حسين عليّ الصَّغير، دار المؤرّخ العربيّ- بيروت،1420ه-2000م.
24. **علم الأصوات**، د. كمال بشر، دار غريب للطّباعة والنَّشر والتّوزيع – القاهرة، 2000م.
25. **العين**، الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت 175هـ)، تح: مهدي المخزوميّ وفاضل السّامرائيّ، دار الرشيد ـ بغداد، ط1، 1980م.

26. **فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التَّفسير**، محمّد بن عليّ بن محمّد الشَّوكانيّ (ت1250ه)، دار الكتاب العربيّ- بيروت، 1427هـ ـ 2007م.

27. في ظلال القرآن، سيّد قُطْب، دار الشّروق –بيروت، الطَّبعة الشَّرعيَّة الثَّانية والثَّلاثون، 1423ه-2003م.

28. كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت180هـ)، تح: عبد السَّلام هارون، عالم الكتب- بيروت.

29. الكشَّاف عن حقائق التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله بن عمر الزَّمخشريّ (ت538هـ)، مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده بمصر،1385ه-1966 م.

30. الكشف عن وجوه القراءات السَّبع وعللها وحججها، أبو محمّد بن أبي طالب القيسيّ (ت437هـ)، تح: محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة- دمشق، 1394هـ-1974م.

31. **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدّين محمَّد بن مكرم بن منظور(ت 711هـ)، دار صادر- بيروت، (د. ت).

32. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطَّبَرسيّ (ت 548هـ)، وضع حواشيه وخرّج آياته وشواهده، إبراهيم شمس الدّين، منشورات محمّد عليّ بيضون، دار الكتب العِلْميَّة- بيروت، ط1، 1997م.

33.المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللغُّويّ، رمضان عبد التَّواب، مكتبة الخانجيّ للطباعة والنَّشر- القاهرة، ط3، 1997م.

34. **المصطلح الصَّوْتيّ عند علماء العربيَّة القدماء في ضوء علم اللُّغة المعاصر**، د. عبد القادر مرعي، عَمَّان- الأردن، ط1، 1993م.

35. المقتضب، أبو العباس محمّد بن يزيد المبرّد (ت285هـ) تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب – بيروت، 1963م.

36. مناهج البحث في اللغة: د. تمَّام حسَّان، مكتبة الأنجلو المصريّة، 1990م.

37. موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريّة- مطبعة لجنة البيان العربيّ، ط2، 1952م.

38.المُوضح في التَّجويد، عبد الوهاب بن محمّد القرطبيّ (ت 461ه)، تقديم وتحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمَّار للنَّشر والتَّوزيع –عمَّان، ط1، 1421هـ –2000م.

39. الميزان في تفسير القُرآن، السّيِّد محمَّد حسين الطَّباطبائيّ (ت1402هـ)، منشورات الأعلميّ– بيروت، ط1، 1997م.

40. نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور، أبو الحسن برهان الدّين إبراهيم بن عمر البِقاعيّ (ت885هـ)، تح: عبد الرَّزاق غالب المهدي، دار الكتب العِلْميَّة– بيروت، 1995م.

41. هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح السَّيّد عجمي المرصفيّ، مكتبة طيبة – المدينة المنورة، ط2، (د.ت).

42. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، أبو بكر جلال الدّين السّيوطيّ (ت911ه)، تح: أحمد شمس الدين، منشورات محمّد عليّ بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1998م.

***بحوث المكتبة العلميَّة الافتراضيّة العراقيَّة:**

1.التشكيل المكاني وإنتاج المعنى: الصفحة الشعريَّة عند أمل دنقل، حازم شحاتة، مجلة (ألف: الشعر المقارن): Alif: Journal of Comparative Poetics، تصدر عن الجامعة الأمريكية في القاهرة ، العدد (6)، 1986م.

2. توالد النصوص وإشباع الدَّلالة: تطبيقًا على تفسير القرآن (محاضرة الأهوانيّ)، سيزا قاسم، مجلة (ألف: الشعر المقارن): Alif: Journal of Comparative Poetics، تصدر عن الجامعة الأمريكية في القاهرة ، العدد (8)، 1988م.